أثر الفتوحات الإسلامية في نشــر اللغة العربية وتطوّرها في بلاد المغرب

د. منى المبروك فرج بشير ــ كلية التربية العجيلات ــ جامعة الزاوية

الملخص

كان الفتح الإسلامي مرتبطا ارتباطا وثيقاً بانتشار اللغة العربية التي أثبتت وجودها من خلال مجموعة من العوامل أهمها اعتناق البربر للإسلام واقتناعهم بضرورة تعلم اللغة العربية لفهم تعاليم هذا الدين، وكان للهجرات العربية الوافدة إلى المغرب العربي دوراً كبيرا في انتشار هذه اللغة وتطورها، بالإضافة إلى بناء المساجد والكتاتيب التي كانت مرافقة للفتوحات الإسلامية لذلك فإن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب كان بداية لولادة ثقافة إسلامية جديدة انتشرت مع انتشار لغة القران الكريم.

Abstract:

The Islamic conquest was closely linked to the spread of the Arabic language, which proved its existence through a group of factors, the most important of which was the Berbers' conversion for Islam and their conviction of the necessity of learning the Arabic language to understand the features of this religion. The Arab immigrations arriving to the Maghreb had a major role in the spread and development of this language, which increased the development of culture. Islamic Arabic is the building of mosques, in addition to the books that accompanied the Islamic conquests. Therefore, the Islamic conquest of the Maghreb was the beginning of the birth of a new Islamic culture that spread with the spread of the language of the Holy Qur'an

أولاَ ــ المقدمة :

اللغة هي أحد أهم وسائل التواصل والتعبير بين البشر، وهي تعكس الهوية والثقافة والتاريخ والأدب والعلوم للشعوب التي تتحدثها، ومن بين اللغات التي لها تاريخ عريق وحضارة غنية وانتشارًا واسعا هي اللغة العربية ، والتي تعتبر لغة القرآن الكريم والحضارة الإسلامية، والتي تحظى بمكانة خاصة بين اللغات الأخرى.

لقد انتشرت اللغة العربية في مختلف أنحاء العالم بفضل الفتوحات الإسلامية التي قام بها المسلمون منذ القرن السابع الميلادي، والتي كانت تهدف إلى نشــر الإسلام والعدل والسلام بين الناس، ومن بين المناطق التي تأثرت باللغة العربية بشكل كبير هي بلاد المغرب، وهي المنطقة التي تضم اليوم المغرب والجزائر وتونس وليبيا و موريتانيا، فقد ارتبطت قضية التعريب في بلاد المغرب ببداية الفتح الإسلامي الذي كان له دور

كبير في انتشار اللغة العربية وتطورها وذلك ؛ لأنه كان من ضمن الذين قادوا الفتح منذ بدايته من حفظة القرآن الكريم ، إضافة إلى نزوح القبائل العربية إلى المغرب الإسلامي ، كما أن لوجود بني هلال وبني سليم الذين دخلوا المغرب وانتشروا فيها من عوامل انتشار هذه اللغة وتطورها ، وقاموا بتعريب المغاربة والبربر، فكل هذا أدّى إلى تطور الثقافة العربية الإسلامية في وقت مبكر من الفتح الإسلامي في بلاد المغرب.

ثانياً ـ مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في السؤال التالي: ما هو أثر الفتوحات الإسلامية على نشر اللغة العربية وتطـــوّرها في بلاد المغرب؟ ويمكن تفريع هذا السؤال إلى الأسئلة الفرعية التالية:

1- كيف تمت الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب ؟ وما هي مراحلها وأسبابها ونتائجها؟

2- ما هي مصادر اللغة العربية ومراحل تطورها وانتشارها في بلاد المغرب؟

3- ما هي العوامل السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية التي أثرت على اللغة العربية في بلاد المغرب؟

4- ما هو الدور الذي لعبته اللغة العربية في تشكيل الهوية والثقافة والتاريخ والأدب والعلوم في بلاد المغرب؟

ثالثاَ ـ أهداف البحث:

تتمثل اهداف البحث في ما يلي:

1- تتبع تاريخ الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب ومراحلها وأسبابها ونتائجها.

2- تحديد مصادر اللغة العربية ومراحل تطورها وانتشارها في بلاد المغرب.

3- تحليل العوامل السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية التي أثرت على اللغة العربية في بلاد المغرب.

4- تقييم الدور الذي لعبته اللغة العربية في تشكيل الهوية والثقافة والتاريخ والأدب والعلوم في بلاد المغرب.

رابعاً ـ أهمية البحث :

يعتبر هذا البحث مهما لعدة أسباب، منها:

1- إبراز الدور الذي لعبته الفتوحات الإسلامية في نشر اللغة العربية وتطورها في بلاد المغرب، والذي لم يتلق الاهتمام الكافي من قبل الباحثين.

2- تقديم رؤية تاريخية ولغوية وثقافية متكاملة للتأثير المتبادل بين اللغة العربية وبلاد المغرب، والذي يساهم في فهم الواقع الحالي لهذه المنطقة.

خامساً ـ مفاهيم البحث :

في هذا البحث، سنستخدم بعض المفردات والمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف واستخدام واضح، وهي كما يلي:

أ- اللغة العربية : هي اللغة التي تنتمي إلى الفصيلة السامية من اللغات ، وهي لغة القرآن الكريم والحضارة الإسلامية، وهي لغة رسمية في 22 دولة عربية، وهي لغة رابعة من حيث عدد الناطقين بها في العالم، وهي لغة ذات أهمية دينية وثقافية وعلمية وسياسية عالمية.

ب - الفتوحات الإسلامية : هي الحملات العسكرية والسياسية والدعوية التي قام بها المسلمون منذ القرن السابع الميلادي لنشر الإسلام والعدل والسلام بين الناس، والتي امتدت إلى مختلف أنحاء العالم، منها بلاد المغرب.

ج- بلاد المغرب : هي المنطقة الجغرافية التي تقع في شمال غرب أفريقيا، وتضم اليوم المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا، وتتميز بتاريخها وثقافتها وهويتها العربية والإسلامية.

د- التنوع اللغوي واللهجي : هو الاختلاف والتباين في اللغة واللهجة بين مجموعات مختلفة من الناطقين بها، والذي يعكس التأثيرات والتفاعلات والتطورات التي مرت بها اللغة واللهجة عبر الزمن والمكان.

سادساً ـ منهجية البحث:

سأتبع المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث ، وهو المنهج الذي يهدف إلى وصف الظاهرة أو الحالة أو الحدث بشكل دقيق وموضوعي، وتحليله بشكل منطقي ونقدي وموضوعي .

المبحث الأول ـ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

لقد استغرق فتح المغرب أكثر من 66 سنة تقريبًا، فلم يكن هذا الفتح أمراً سهلاً ، بل كان متمثلا بسلسلة من المعارك العسكرية التي قام بها المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين (11-41هـ /632-661م) وعهد الدولة الأموية(41 – 132 هـ / 661 – 750 م)، وكان هذا للتخلص من الإمبراطورية البيزنطية وقبائل البربر، و إلى نشر الدين الإسلامي، وتعزيز صفوف المسلمين، وتوسع امتداد الدولة الإسلامية (1)، فقد مر

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بمرحلتين و كان لكل مرحلة مجموعة من الحملات العسكرية.

أولاً ـ مراحل الفتح الإسلامي :

المرحلة الأولى ـ عرفت بمرحلة الاستطلاع : كانت بدايتها حملة عمرو بن العاص عام 22 هـ / 642 م (2)، فبعد فتحه لمصر، اتجه إلى المغرب وقاد حملة وفتح برقة وطرابلس وذلك لحماية حدود غرب مصر من خطر البيزنطيين التي كانت تحاول إعادة مصر لحكمها، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه(13 – 32 هـ / 634 – 644 م) قام بمنع عمر بن العاص من إتمام هذا الفتح ، وذلك بسبب خوف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على تركيز جيش المسلمين، وبسبب مساحة هذه المناطق، وللرغبة في مد نفوذهم فيها، ثم جاء عهد الخليفة عثمان بن عفان(23– 35 هـ / 644 – 655 م) الذي قام بمواصلة الفتح الذي بدأ به عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقام بإرسال حملة بقيادة عبد الله بن سعد وذلك في عام 27 هـ / 647 م ، الذي قام بدوره بالسيطرة على سفن البيزنطيين المتواجدة على شواطئ طرابلس واستمر حتى وصل لتونس وقامت معركة مع البيزنطيين سميت بمعركة سبيطلة 27هـ / 647 م (3)، وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين، وقتل القائد البيزنطي على يد عبد الله بن الزبير، ولكن عبد الله بن سعد لم يستطع الاستمرار في فتح المغرب ؛ لأنه رجع إلى مصر لمحاربة أهل النوبة في الجنوب، وفي عام 45 هـ / 665 م قامت حملة سميت بحملة معاوية بن حديج فبعد تنصيب معاوية بن أبي سفيان (4) للخلافة عام 41هـ / 661 م ، والذي بدوره قام بمواصلة الفتح وذلك بإرسال حملة بقيادة القائد معاوية بن حديج الذي جهز الجيوش، وقام باتخاذ القيروان معسكراً له، وقام بإرسال سرايا إلى الأماكن التي يكثر فيها البيزنطيين فكانت السرية الأولى بقيادة عبد الله بن الزبير، وقد اتجهت إلى المدن الساحلية وسيطرت على سوسة وقابس وبنزرت ، أما السرية الثانية فكانت بقيادة عبد الملك بن مروان استطاع السيطرة على حصن جلولا وهو حصن البيزنطيين وذلك بعد قتال عنيف معهم. (5)

المرحلة الثانية ــ عرفت بمرحلة الفتح الحقيقي لبلاد المغرب : بدأت هذه المرحلة بحملة سميت بحملة عقبة بن نافع الأولى في عام 50هـ / 671 م ، وذلك بعد عزل معاوية بن أبي سفيان لمعاوية بن حديج ، فقام عقبة بن نافع ببناء مدينة القيروان وانتهى من بنائها سنة 52 هـ / 673 م، وعسكر فيها لذلك كانت العمليات العسكرية في هذه المنطقة مستقرة واستمرت حملته لمدة 5 سنوات ، فبعد عزل مسلمة بن مخلد لعقبة بن نافع ، قامت حملة بقيادة أبي المهاجر دينار في سنة 55 هـ / 676 م الذي قام ببناء

مدينة أخـــرى وهي تكروان واعتبرها قاعدة عسكرية له وللمسلمين ، وشهدت حملته نجاحاً باهراً، واستمرت هذه الحملة لمدة سبع سنوات حيث وقف المسلمون مع قبائل البربر ضد البيزنطيين وقد تم فتح المغرب الأوسط حتى وصلت الفتوحات إلى مدينة تلمسان (6) ، وبقي فيها إلى أن توفى معاوية بن أبي سفيان سنة 61 هـ / 680 م ، ليتولى بعده الخلافة ابنه اليزيد(60 – 64 هـ / 680 – 684 م) الذي أعاد عقبة بن نافع إلى ولايته على المغرب 62هـ / 681 م. وفي عهد يزيد بن معاوية حصلت حملة عرفت بحملة عقبة بن نافع الثانية والتي تم فيها فتح المغرب وصولاً بالمسلمين إلى سواحل المحيط الأطلسي ولكن كانت نهاية هذه الحملة استشهاد عقبة بن نافع وأبي المهاجر دينار ، وتوفي يزيد بن معاوية سنة 64 هـ / 684 م ، و تولى الحكم بعده عبد الملك بن مروان سنة 65 هـ / 685 م ، فقام بإرسال حملة بقيادة زهير بن قيس البلوي الذي قام بإعادة القيروان لحكم المسلمين ، وقام بتدمير مقاومة البربر، ولكنه استشهد بسبب وقوعه في كمين لهم. (7) ، فبعد استشهاد زهير بن قيس البلوي قام عبد الملك بن مروان باختيار حسان بن النعمان ليؤمن أهل إفريقية من عدوهم فقاد حملة سنة 69 هـ / 689 م ، وهو الذي يعتبر الفاتح الحقيقي لبلاد المغرب ، والذي وضع نظام ثقافي وسياسي وعسكري في المغرب ، ومد نفوذه في مدينة قرطاجة ؛ ولكنه تفاجأ بمواجهة شديدة مع زعيمة قبيلة جراوة وهي ملكة كاهنة ودارت معركة بينهم في جبال أوراس ، وانتصرت في هذه المواجهة على المسلمين ، لذلك قام حسان بن النعمان بالرجوع هو ومن معه واستقروا في طرابلس ، وتوقّف بسط نفوذ المسلمين لمدة خمس سنوات بسبب شدة نفوذ هذه الملكة في المنطقة ، وبعدها دارت معركة مع الكاهنة في سنة 82 هـ / 702 م في وسط إفريقية انتهت بوفاة هذه الملكة الكاهنة وانتصار حسان بن النعمان وقام باستكمال الفتوحات ، و افتتحت أغلب مناطق إفريقية ، وبعدما توفي عبد الملك بن مروان سنة 86هـ / 705 م ، وتولى ابنه الوليد بن عبد الملك بن مروان(86 – 96 هـ / 705 – 715 م) الحكم ، وقام عمه عبد العزيز بن مروان الوالي على مصر وأفريقية بعزل حسان بن النعمان ، وولى موسى بن نصير على إفريقية سنة 89 هـ / 708م ، الذي أعاد الاستقرار والأمن لهذه المنطقة ، فقام موسى بن نصير بإرسال طارق بن زياد إلى طنجة ثم عاد إلى إفريقية ، وكانت أولى الفتوحات في إفريقية قلعة زغوان ونواحيها، وأرسل موسى ابنه عبد الله إلى بعض نواحي إفريقية وجاء ومعه مائة ألف رأس من السبي كما أرسل ابنه الآخر مروان إلى نواحي أخرى من إفريقية وجاء أيضا بمثلهم، وتواصل موسى مع عمه عبد العزيز ليخبره بالفتح، وكان طارق بنفس الوقت في طليطلة

، بعد ذلك خرج موسى إلى الأندلس سنة 93 هـ / 710 م وولى ابنه عبد الله على القيروان.(8)

ثانياَ ـ أهداف الفتح الإسلامي لبلاد المغرب : لم يكن الهدف من الفتوحات الإسلامية تسابق المسلمين في إظهار مظاهر الغنى أو إظهار صور للترف ، ولكن كان الهدف من ذلك هو نشر الدين الإسلامي وهو دين العدل الذي لا يقبل الظلم، ونشر اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم، ولإعلاء كلمة الحق واليقين والإصلاح، لذلك قام المسلمين بهذه الفتوحات من الشرق إلى الغرب.(9)

ثالثاً ـ نتائج الفتـــوحات الإسلامية لبلاد المغرب : فقد كان للفتح الإسلامي في المغرب العربي مجموعة من النتائج التي تمثلت في :

1-توسيع مساحة الدولة الإسلامية حتى أصبحت أكبر الدول بين الممالك.

2-اعتناق كثير من أهلها الإسلام.

3- الحصول على العديد من الغنائم التي كانت أحد موارد بيت مال المسلمين.

4-انتشار الثقافة الإسلامية واللغة العربية التي كان لها أثر كبير في تطور المغرب.

5- تقسيم المغرب إلى عدة ولايات. (10)

المبحث الثاني ـ دور الهجرات العربية بنشر الثقافة العربية الإسلامية خلال فترة الفتح الإسلامي :

من المراحل التي مرت بها بلاد المغرب وكان لها تأثير كبير في انتشار اللغة العربية أثناء فترة الفتح الإسلامي هي الهجرات العربية إلى بلاد المغرب، وهذه الهجرات تعتبر من أهم الهجرات التي عرفتها البشرية، والتي كانت تتم على شكل موجات متوالية، فإن الموجة التي وافقت الفتح الإسلامي كانت لها الفضل في افراز واقع جديد لبلاد المغرب وتمثل ذلك بنشر اللغة العربية ونشر الإسلام (11)، ولكن هناك بعض المصادر تؤكد بأن البربر كانوا على معرفة باللغة العربية قبل الفتح الإسلامي، وذلك عن طريق موقع يسمى برباط شاكر الذي قام باحتضان اول مسجد في المغرب بأمر من عقبة بن نافع، وكان ذلك قبل مجيئه، الذي قام بتنظيم الأمور بين حمله رسالة الإسلام وحرصه الشديد على انتشار اللغة العربية. (12) ؛ ولكن الهجرات العربية التي تمت خلال فترة الفتح الإسلامي أدت إلى انتشار واسع للغة العربية، وخاصة في عهد الخلافة الأموية و بالتحديد في عهد عبد الملك بن مروان الذي ارسل ثلاث عشر فقيه حتى يقوموا بتعليم البربر أصول الدين و القرآن الكريم ونشر اللغة العربية بكافة أنحاء المغرب، وكان له غرض من ذلك وهو تفادي الردة المتكررة للبربر المعروفين بها منذ بداية عهدهم

بالإسلام. فقام عبد الملك بن مروان بإرسال حسان بن النعمان مع جيش كبير غلب عليه العنصر العربي والذي كان له دور كبير في تعزيز هجرة العرب إلى بلاد المغرب ، وعرف على حسان ترسيخه للثقافة العربية ببلاد المغرب ؛ لأنه قام بالثبات على نشر اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية العربية (13) كما أنه قام بإنشاء الدواوين وألزم الجميع بتعريبها وجعل اللغة العربية هي لغة الدولة (14) ، وقد جاء بعده عهد موسى بن النصير الذي أرسل سبعة عشر من علماء العرب حتى يعلموا البرابرة اللغة العربية وأصول الدين وذلك في الجزء الغربي لبلاد المغرب المراكشي، و هذه السياسة انعكست بشكل إيجابي على انتشار الثقافة العربية الإسلامية، خاصة بعد عملية بناء المساجد بشكل كبير، والتي كان لها تأثير بالغ الأهمية، حيث اعتبرت المساجد بأنها أدوارا للعلم والعبادة وقام الخليفة عبد الملك بن مروان بضرب الدنانير بنقش رموز الإسلام وباللغة العربية، فكانت هذه الفترة فترة ظهور معالم حضارية واضحة عليها. وكان للغة العربية فضلا كبيرا حيث استفادت الثقافات السابقة التي عمرت قبل مجيء الفتح الإسلامي، وهكذا صارت اللغة العربية هي لغة الإدارة والتأليف والكتابة والتعليم وحتى التخاطب اليومي.

وكان سبب تأخر انتشار اللغة العربية في بدايات الفتح الإسلامي يعود بالأساس إلى سياسة الخلافة الاسلامية المتبعة في الفتوحات الإسلامية والتي كانت مبنية على تجنب الاحتكاك المباشر الطويل بالبربر ، و كانت تفضل اعتبار القيروان كقاعدة ارتكاز لها، كما أطلق على بلاد المغرب الإسلامي دار هجرة (15).

ظل الفاتحون وجيشهم العربي متمركزين في القيروان حتى عهد الأدارسة (172– 311 هـ / 788 – 923 م) التي كانت البذرة الأولى لنشر اللغة العربية ببلاد المغرب، مما أدى ذلك إلى تأخر بروز الثقافة الإسلامية إضافة إلى أن هناك مجموعة من الأسباب جعلت من القيروان في عهد الأدارسة على الأقل نبراسا للغة العربية والثقافة الإسلامية ذلك بسبب وجود العنصر العربي مما أدى إلى حالة من الاستقرار من جهة، وتقبل البربر للغة العربية كونها لغة الدين الإسلامي من جهة أخرى ، دفعهم دينياً للارتباط بلغة القرآن الكريم

والجدير بالذكر أن البربر لم يجدوا أحسن من اللغة العربية في ذلك ،خاصة وأن الحروف المسماة اليوم بتيفيناغ قد اندثرت قبل مجيء الإسلام لبلاد المغرب(16)، بالإضافة إلى ما انتجته الهجرة المعاكسة للبربر من المشرق إلى المغرب فقد كانوا يذهبوا إلى المشرق بغرض العلم أو الحج ، ثم يعودوا لبلاد المغرب متشبعين بالعلوم وتعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية . كما لا يمكن إخفاء مسألة تأثر الأدارسة بما كان

يجري بالقيروان من تعريب للإدارة والدواوين والكتابة المنقوشة على المسكوكات (17)، وفي عهدهم تم إبراز أثر اللغة العربية، حيث انتشر الخط الكوفي انتشارا واسعاً بطابعه المشرقي، وقد ضربت النقود به تقليدا لما سبقها من النقود الأموية والعباسية، كما انتشرت دور ضرب السكة على خمسة وعشرين دار ببلاد المغرب الإسلامي (18)، وهو ما أدى إلى ظهور نخبة مثقفة من الأدباء والعلماء، ولهذا نجد أن ابن عذاري قد عدد هؤلاء المحدثين بثمانية عشر عالما ، فكل ذلك جعل اللغة العربية صاحبة الموروث الحضاري الذي جعلها تتفوق على لغات لم تتشبع بموروث حضاري فتحتويها، وهو ما حصل للغة العربية والأمازيغية . (19)

المبحث الثالث ـانتشار اللغة العربية في المغرب بعد الفتوحات الإسلامية:

إن اللغة العربية ضرورية لمن يريد التفقه في اللغات المنتشرة في البلاد الإسلامية أو آدابها ، ولا سيما التركية والفارسية وغيرها، وكلما ازدادت المعرفة بالعربية كلما ازداد مقدار التذوق لآداب اللغات الإسلامية (20) ، على أن الصفات المميزة للغة العربية غنى ألفاظها ومحتواها والأسلوب الخاص بها في التعبير واستنادها إلى الوزن والإيقاع ، فقد تركت أثرها في النتاجات العلمية والعقول الملمة بالمعرفة ، ومن ثم على الفكر الإسلامي ، وقد تغيّرت بها اتجاهات العلوم والمعارف الإسلامية ، و تجلت في إحدى جوانبها ببصمتها الواضحة في اللغة العربية (21) ، وكما نرى أن اللغة العربية قد انتشرت في بلاد المغرب مع انتشار تعاليم الدين الإسلامي وأقبل البربر على تعلم اللغة العربية ، وعلى حفظ القرآن الكريم ، فقد قام حسان بن النعمان بجعل اللغة العربية اللغة الرسمية في بلاد المغرب ، وجعلها لغة البلاد الرسمية من الرسائل التي كان يكتبها للعمّال ، والدواوين و يخطب بها في الجمع و الأعياد فأعجب البربر باللغة العربية ، كما أن أعداداً من المتطوعين كانـــوا لا يغادرون المناطق التي فتحها المسلمون خاصة الآمنة منها ، ولعل ذلك من الأسباب التي مكّنت البربر من اتقان اللغة العربية، ومع الوقت أصبحت اللغة العربية في مدوناتهم وثقافتهم ، وقد زاد توهّـج اللغة العربية في مرحلة ثانية خلال القرون المتأخرة في عهد الهجرات الهلالية والجدير بالذكر فقد كانت هذه التحولات تربط بين تطور اللغة العربية في انتشارها و تقبل البربر لها لأنهم كانوا غير مستقرين على لغة واحدة، فقد كانوا يتكلمون بلهجات انحصر استقرارها على نطاق ضيق بالمناطق الجبلية (22) ، وعمل العرب إجراءات عدة لنشر اللغة العربية وإحياء الثقافة الإسلامية فقد اشترطوا على البربر التعبد باللغة العربية وأن تقرأ أدعيتها وتحفظ السور القرآنية للصلاة.(23) فعملوا على إنشاء كتاتيب بجوار المساجد من أجل تحفيظ

القرآن وتعليم اللغة العربية وقواعدها فتأصلت اللغة في قلوب وعقول البربر ، وهكذا أتقن البربر اللغة العربية ، وأصبحت لغتهم الرسمية ومثال على ذلك الخطبة الشهيرة التي ألقاها طارق بن زياد البربري باللغة العربية على جيشه البربري عند مدخل الأندلس فقد جعل اللغة العربية عاملا محفزا للجند اللذين رحبوا باللغة العربية ، وبالتالي فإن وجود العرب مع البربر وتعايشهم معهم قد عمل على انتشار اللغة العربية في بلاد المغرب (24)

وهكذا قل استخدام اللغة البربرية تدريجيا وكانت السيادة للغة العربية، وقد كانت اللغة البربرية لغة الحديث في المناطق الخلفية التي تمتد من وادي النيل و برقة من أقصى المغرب من جهة والى ساحل النيجر (السودان) من جهة أخرى ، فقد توغلت اللغة العربية أولا وقبل كل شيء في المدن فهي لغة الدين والحضارة المدنية التي ستتقدم بخطي بطيئة في الجبال و الهضاب البربرية ، وبالتالي فان اللغة العربية تغطي المناطق التي كانت تابعة لقرطاجة .(25)

المبحث الرابع ـ أثر انتشار اللغة العربية على بلاد المغرب :

لقد أثّــرت الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب تأثير كبيرا في حياة المجتمع الإسلامي ، فقد أثرت في التوسع الإسلامي بجميع مظاهره العسكرية و البشرية و الفكرية وقد أحدث ذلك توسعا ثقافيا و حركة علمية تهدف إلى نشر العقيدة الإسلامية حيث أقبل سكان البلاد المفتوحة على تعليم العربية و أداءها و على دراسة المصادر الإسلامية (القرآن و الحديث و الفقه) ، وفي ذلك عمل عبد الملك بن مروان على تعريب العملة لعدة أهداف منها لكي يصبغ الدولة بصبغة عربية حيث قام برسمها بدقة ومهارة و نفذها في جميع الميادين الإدارية و الاقتصادية ، فقد كان تعريب النقود جزء من سياسة عبد الملك بن مروان وقد استهدفت حركة التعريب في عهده مؤسسات الدولة لإرضاء الشعور الديني و السياسي للشعوب العربية و الإسلامية وتوحيد عبارات التوحيد و البسملة ، و أراد أيضا ضبط و مراقبة شؤون الدواوين و بيت المال لمنع أي غش أو تزوير .(26) فبعد الفتوحات الاسلامية لبلاد المغرب استطاع الفاتحون إقناع ساكنوها بالإسلام وقيمه الحضارية، حيث أقبلوا عليه أفواجا ، خاصة بعد تأسيس مدينة القيروان التي مارست إشعاعا حضاريا على المنطقة جعلتها محط حج للساكنة الذين أعلنوا إسلامهم بأعداد كبيرة (27). فقد كان قادة الفتوحات يتركون في المناطق المفتوحة دعاة يعلمون الناس أمور دينهم، مثلما فعل عقبة بن نافع عندما ترك صاحبه شاكرا في إحدى مناطق المغرب الأقصى (28) وكما فعل حسان بن النعمان وموسى بن نصير اللذان أرسلا مع القبائل التي أعلنت إسلامها مجموعة من الدعاة لنشر تعاليم الإسلام واللغة

العربية بين أبنائها(29)، والعشر من التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز لتعليم والتفقيه حيث تمكنوا من نشـــر تعاليم الدين الصحيح في صفوف البربر ،وقد تم مشاركة القبائل البربرية في جيش الفتح للمساهمة في عملية الفتوحات، بداية بعقبة لتصل إلى مستوى تولي القيادة مع حسان بن النعمان وموسى بن نصير (30)، فقد كانت هذه المشاركة تهدف إلى إشراكهم في فضل الجهاد ولمعرفة قيمة المعتقدات الإسلامية واللغة العربية، نظريا وعمليا، فأصبحوا معلمين ومرشدين ودعاة عند قبائلهم. وهذه المشاركة الفعالة في الفتوحات جعلت المغاربة يتعلمون اللغة العربية لكي يفهموا الإسلام وتفسيره وتطبيقه على واقعهم، وفي المجال العمراني قد اثرت اللغة العربية في المغرب تأثيرا كبيرا حيث أصبحت المغرب محجا لكل القبائل المجاورة لها، وخاصة القيروان التي مارست تأثيرا كبيرا على المنطقة فقد كانت وسيلة لتعلم اللغة العربية ولحقتها في ذلك تونس وفاس ونكور**(31)**

وانتشاراً لظاهرة المصاهرة مع قبائل المنطقة بسبب الهجرات التي حصلت أثناء الفتوحات فقد ساعد في ذلك التشابه الكبير في العادات والتقاليد ونمط العيش، وهذا ما سهل الاندماج و ظهور جيل جديد عرف بجيل البلدين.(32) ، وقد تم بناء المساجد والكتاتيب مثل جامع القيروان الذي كان عليه إقبال كبير ، وغيره من المساجد التي كانت مكانا للعبادة والتعليم ، فإنّ التابعين اللذين أرســـلهم عمر بن عبدالعزيز اتّخذوا من تلك المساجد كتاتيب خاصة بهم لتدريس أبناء المدينة ومن حج إليها لطلب العلم. وايضا قام عقبة خلال حملته ببناء مجموعة من المساجد مثل مسجد نفيس .(33)

كما يعتبر جامع الزيتونة و جامع القرويين من أبرز وأهم المنارات العلمية التي تأسست على أيدي الفاتحين من العرب (34) ، وبالتالي فإن تعريب بلاد المغرب تحقق نتيجة تضافر عدة عوامل كان للفتوحات الإسلامية الدور الأبرز في تحقيقه و ترسيخها كون أن اللغة العربية هي لغة الدين الإسلامي ولغة العبادة.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم توصل البحث إلى مجموعة نتائج أهمها:

1-الفتح الإسلامي له دور كبير للتخلص من حكم البيزنطيين وسيطرتهم على بلاد المغرب

2-كان للفتوحات الإسلامية أثر كبير في تطور وازدهار اللغة العربية بكافة فنونها

3-كانت للهجرات العربية المتدفقة على المغرب دور كبير في انتشار اللغة العربية

4-دخول البربر إلى الإسلام تطلب منهم فهم الدين الإسلامي وذلك عن طريق فهم لغة الإسلام لدراسة القرآن والتفسير والحديث.

5-إن انتشار اللغة العربية وتطورها في المغرب أسهم بشكل كبير بإنشاء وحدة ثقافية وتطور البلاد على الأصعدة كافة .

الهوامـــــــــش :

(1) طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عُبيَّة، موجز عن الفتوحات الإسلامية، (القاهرة، دار النشر للجامعات، 2021)، ج 1، ص 40-44.

(2) أبي الحسن علي ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1978)، ص: 25

(3) مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، (بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1996)، ص245-، 246.

(4) الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، (بيروت، لبنان، دار المنار الإسلامي، 2004 م)،ط4،ص78.

(5) موسى لقبال، المغرب الإسلامي، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر، 1981)،ط٢،ص٢٦

(6) أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (الدار البيضاء ، دار الكتب، 1954-1956)،ص 136-140.

(7) ابن الأثير، مصدر سابق، ص207-209.

(8) الرقيق القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب، (طرابلس، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، 1994م)، ط1، ص47

(9) وهبة الزحيلي، أهداف الفتوحات الإسلامية، مجلة الفسطاط التاريخية، نقلا عن مجلة حضارة الإسلام، العدد التاسع، السنة الرابعة، نيسان 1964م ، ص 45-51

(10)عبد الشافي محمد عبد اللطيف ،السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي،(القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ،2006)،ط2،ص280 -281

(11) – رحمة تويراس ، تعريب الدولة والمجتمع بالمغرب الأقصى خلال العصر الموحدي، (المغرب، مؤسسة الإدريسي الفكرية للأبحاث والدراسات، 2015) ، ط1، ص47

(12) – محمود اسماعيل عبد الرازق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، (الدار البيضاء، المغرب : دار الثقافة،1985)، ط2 ص38

(13) – ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (بيروت : دار الثقافة، 1980) ، ج1، ط2، ص34

(14)- وليد الشاوش، تاريخ تعريب المغرب الاقصى،(مطبعة الألوكة، 2015م) ، ص6

(15) – أبوالعرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق :علي الشابي ونعيمة حسن اليافي .(الجزائر، الدار الوطنية للنشر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985 م)، ط2، ص 35

(16)- عمر ابا محمد. المغراوي، الخط المغربي تاريخ وواقع وافاق،(الدار البيضاء، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،مطبعة النجاح الجديدة،2007) ، ط1، ص29

(17) – ابراهيم حركات، (المغرب عبر التاريخ)(الجزائر ، دار الرشاد الحديثة، 2000م)، ج1، ص 103

(18) – عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب، (الرباط، مجلة كلية الآداب، 1993م)،ط1، ص15

(19) المراكشي، مصدر سابق، ص20

(20) المراكشي، مصدر سابق ،ص42

(21) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2004 م)،ص228 .

(22) احمد بن النعمان، كيف صارت الجزائر مسلمة، (الجزائر، دار أئمة للطباعة والنشر، 1998 م)، ص 45-44

(23) عبد القادر ربوح، حركة التعريب وأثرها في بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، (مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، 2013 م)، ص61

(24) بو سعد الطيب، الحياة العلمية والثقافية في الإمارة الأغلبية وعلاقتها بالخلافة العباسية 296 هـ، (رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2002 م)، ص33

(25) جون ستوتهوف بادو ، دور العرب في الثقافة الإسلامية ، (بغداد، مجلة المورد، 1981 م)، مج 9، العدد 4،ص476

(26) د عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ،(بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر ، 1982 م)،ط 4، ص 31-32

(27) عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،(السعودية، بيت الأفكار الدولية للنشر ج1، ص13.

(28) ابن عبدالحليم الايلاني، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، (مدريد، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية) ، ع2 ،ص220 .

(29) المراكشي ، مصدر سابق، م1، ص42

(30) ابن عبدالحكم، مصدر سابق ، ص228

(31) عبدالعزيز غوردو، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب: جدلية التمدين والسلطة،(الكويت، دار نشري ،2011)، ص68

(32) محمد عبده حتاملة ، جيل المولدين في المغرب والأندلس،(عمان ،ب. ن. ،2003)، ص75

(33) ابو عبيد البكري، المسالك و الممالك، (بيروت، دارالكتب العلمية ،2003)،ط1 م2، ص346 .

(34) بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع عشر الهجري / عشرة ميلادي، (لبنان، بيروت، دار المدار الاسلامي، 2003)، ط1، ص61